

الدين والعقل

لماضرة الاديب المناضل القس عبد الله جرجي السرياني

وردتنا تحت هذا العنوان مقالة واسعة لم يسح ضيق المكان باثباتها كلها فالتفتنا ما يلي (المشرق)

اليك ايها القارئ اللبيب بعض البراهين التي تستند اليها حقيقة ما بين الدين والعقل من العلاقة والمواقة وذلك رداً على مزاعم بعض جهة بلادنا الذين يدعون الكفر عقداً فصنرت لتدنيهم المزعم حقائق الدين في اعينهم وجعلوا يعدون التدين ضعفاً بل امراً دون طور العقل ان لم نقل مناقضاً له وراضعاً لسوء شرفه

١ من المعلوم ان الانسان من طبيعته وجوهه دين ران الدين هو غريزة فطر عليها ابن آدم كما يظهر لنا ذلك جلياً من ميل جميع الشعوب الى التدين منذ خلقته العالم الى يومنا هذا وإن جهل بعضهم حقيقة التدين فالوا الى باطله . فتوغلوا في خرافات فظيعة ومعتقدات فارغة . فاذا كان التدين غريزة طبيعية في الانسان ينبج من ذلك ان الله هو الذي وضعها فيه فكيف امكن اذن لبارئ الخلق ان يجعل في طبيعتهم غريزة مناقضة لعقلهم « وهو الحكيم القدوس الذي رتب كل شيء بمقدار وعدد ووزن » (حكمة ٢: ٢١) فالعقل والدين اذن اخوان توأمان او هما اشبه بقربي وهان

ثم ان الغاية من التدين هي تقرب الانسان من الله والاقتران به تعالى ولهذا ايضاً خلق الانسان ووضعه في العالم . فكيف اذن امكن لمبدع الكون ان يجعل في الانسان غريزة تبعده عنه . اذ ان ما يناقض العقل لا يقدم عليه الا من كان فاقد العقل جاهلاً يري ذلك قول الكتاب المقدس وهو لا يستي جاهلاً الا من ابتعد عن الصراط المستقيم اذ يقول سبحانه عز وجل : « قال الجاهل في قلبه ليس اله » (مز ٥٢: ٢)

واذا افترضنا مع اصحاب الكفر ان الله لم يجعل في الانسان غريزة الدين بل انما الانسان قد اكتسبها في صغره لضعف عقله فأجيب ان اعتراضهم هذا باطل اذ ان كثيرين كانوا في صغرهم كفرة او اشراراً فارعوا في كبرهم واعتدوا سواه السبيل والامثال في ذلك كثيرة تتجدد كل يوم . ثم ان الذين اتخذوا الدين ديدناً من صغرهم نشاهدهم كلما تقدموا في السن وازداد عقلهم قوة ازدادوا هم ايضاً تدنياً وقسكاً بعودة الدين الوثقى الذي تلقوه في صغرهم . فلو كان الدين مناقضاً للعقل لكانوا يندوه

عندما كل عقلم كما تراهم يبنون نبتة النواة عواند الطفولية واخلاق الصبا. الدالة على قلة العقل وهذا ما يؤيده كلام الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنثس (١٣: ١١): « اني لما كنت طفلاً كنت انطق كالطفل وأعقل كالطفل وأفكر كالطفل فلما صرت رجلاً ابطلت ما هو للطفل »

٢ ان الدين هو عبارة عن مجموع حقائق تقوم على علاقات موجودة بين الله والانسان . وهذه الحقائق والفرائض يجب ان تكون بالطبيعة مرتبة على ذات الله المبود وذات الانسان العايد . ولما كان الله روحاً والانسان روحاً وجسداً اقتضى ان يكون الدين مناسباً لكليهما اي يوجد فيه ما يلائم كون الله روحاً وما يلائم كون الانسان روحاً وجسداً وهذا الذي زاه في الدين . حقائقه تصرح لنا عن ان الله روح محض منزّه عن المادة والجسمية وفرائضه منها باطنة تتم بصرى النفس كالايان والرجاء والحبة ومنها ظاهرة تكمل باتفاق النفس والجسد كالسجود والرقب الكنيّة وسائر المبادات والناسك الدينية . فيا لله ما احسن وما اجمل هذا النظام الذي يرفع شأن الانسان عوضاً من ان يحط من شرفه وسوء مقامه

٣ ولعلّ جلاله حقائق الدين وقداسته فرائضه هي التي حملتك يا هذا على ان تشكرها وترعم انها مناقضة لعقلك ولكن على رسلك يا هداك الله ان لقي حكمتك تهوراً . فما فوق ادراك العقل شي . وما يخالف العقل شي . آخر فوجود حقائق في الدين تفوق ادراك العقل امر لا يُنكر ولا بدّ من ذلك في دين المهي كديننا . لان الدين كما قلنا عبارة عن مجموع حقائق وفرائض تقوم على علاقات موجودة بين الله والانسان ولما كان كنه الله اوسع من كنه الانسان بما لا يُحدّ وجب ان تكون الحقائق المتعلقة بكنهه تعالى اوسع ايضاً من عقل الانسان بما لا نهاية له ولذا يضحى هذا العقل في عجز عن ادراك ما يتجاوز دائرة استطاعته كما يتبع ادخال جرم ما في اصغر منه ولكن ناشدتك الله قل لي ماذا حكمت اذ سمعت اول مرة عن اكتشاف التلغراف بدون سلك . لا ريب ان عقلك لم يستطع ان يحيط به علماً وربما عدته إتكاماً وتلفيقاً ومع ذلك قد أيقنت الآن بحقيقته وان كنت غير فاهم كيفية تركيبه وصنعه . وعليه ان كنت لا تفهم مع سمة عقلك اكتشاف انسان اوسع منك عقلاً فكيف تحاول ادراك حقائق الله الغير المتناهي حكمة وعلماً ومعرفة وتتجاسر على

انكارها والكفران بها لقصور ادراكك ايهاا. ثم اعلم ان انكارك حقائق الدين الازلية لا يمنع من ان تكون تلك الحقائق حقائق. كما ان عدم تصديقك اكتشاف التلراف بدون سلك لم يمنع وجوده ولا يبطل حقيقته

٤ واليك اخيراً برهاناً مأخوذاً من نفس مناداتك بالتمدن والتهذب فمن فك ادبتك. فتقول اذن انه ينبغي لنا ان نتمدن ونتهذب واننا الشرقيين لفي تأخر وتقهتر وقد فاتتنا هبة الشعوب تمدناً وتهذباً وما اشبه ذلك فقد صدقت بما ظقت واحسنت التكلم حتى الآن ولكن ما لي اراك من الجبهة الاخرى تقوض اركان الدين بأركان المدمومة وتحط من شأن اربابه كأن الدين هو المانع لانعام رغائبك وكأن اربابه هم الاعداء المقاومون لعزائمك مع ان الدين هو اساس كل تمدن وتهذب ولولا اربابه لاندثر كل تهذب وكل تمدن من العالم ولملك انت قد اكتسبت ما لك من المعارف والآداب من ارباب الدين وسادته يد انك لسوء تصرفك الذي نهاك عنه ارباب الدين امسيت تظعن فيهم وتمزق اعراضهم بانياب الثلب والقدح

وعليه فان كنت تفهم بالتمدن والتهذب العلوم والفنون التي تزين العقل فاحسن علم هو معرفة الله واحسن فن هو اتمام فرائض الدين وبدون هذين الامرين يكون تمدنك ناقصاً بل ولا يستي تمدناً. وان كنت تفهم بالتمدن والتهذب ريادة اخلاق النفس وحن تدير قواها وخاصياتها وشاغلها (وهذا هو معنى التمدن الحقيقي) فلا يتم ذلك الا بواسطة الدين الذي ينهي الانسان عن المنكرات ويبله كيفية اجتنابها ويخرجه شيئاً فشيئاً بقداسة مبادئه وجلالة فرائضه في الشانل الحميدة والفضائل الحميدة كاملاً متنعاً من كل جهة. وهذا ما يسلم به كل من له بعض المام في تواريح الامم القديمة التي لم يشرق عليها نور الانجيل والشعوب التي تنورت بهذا النور الالهي فشتان بين آداب اولائك وآداب هؤلاء. وهيئات بين خرافات الاولين واعتقادات الآخرين فهل من الممكن اذن ان يكون الدين منافياً للعقل وهو ركن كل تمدن وكل تهذب حقيقي

ان الانسان كلما زادت ثورته وعظمت شوكتة وتفاقت سفاخته ووقاحتة كان اليوم في اعين الجهلة عظيماً شرفاً موثقاً له تخضع الرقاب صاغرة. ولكن الامر بخلاف ذلك في أعين الحق لان الشرف الحقيقي لا يقوم الا بالدين ولا يكون للانسان فضل

على شبيهه إلا على قدر تدبيره وترأفه من الله لان كل انسان يقدر ان يرتكب الشرور
ويأتيا فليس اذن في فعلها فخر او شطارة فضلا عن انه لا يقدم عليها إلا من كان ندلاً.
ولكن ليس الامر كذلك في المبررات والعالحات فانها تستقضي في صانعها زيادة عقل
وشرف نفس وعظم شهامة ولذا كان صانعها فقط مستحقاً ثناء الجميع وكراماتهم

ليس من يقطع طرفاً بطلاً انما من يتقى الله البطل
فينجم مما تقدم ان الدين ليس بخضاد للعقل كما يزعم المتظاهرون بالعقل والحكمة
بل انما هو موافق له كل الموافقة بل مهدباً له كما لسان قوى النفس ويحسن ان نختم
مقالتنا هذه بايات ابي العتاهية:

حتى متى ذر الية في تيهه أصلحه الله وعافاه
ييه اهل الية من جهلهم وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العز ليقى له فان عز المرء تقواه

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٥ اققا

كررت مراراً اسم اققا في فصلنا السابقة على اننا لم نخصصها بعد بالذكر. قرأنا ان
نفرد لها باباً خاصاً لتفصيل قراءتها ما بلغنا عن امرها

قلنا ان وادي نهر ابراهيم كان يُعد في القرون الخالية كارض مقدسة تصب فيها
الفيثيون لسموز (ادونيس) فاقاموا له المزارات والابنية الدينية يحجون اليها ويتبركون
بها. وقد امتاز بين هذه المعابد هيكل اققا الشهيد جملوه عند رأس نهر ابراهيم في موقع
يفوق مجنه جميع مناظر لبنان ويأخذ بالابصار لحسنه الفئان هكذا وصفه رينان في
كتابه الموسوم ببعثة فيثية وبنائه في مقالنا عن جبال الألب ولبنان (المشرق) :
(٧٢٢)

يشق العلماء اسم اققا من السريانية اققا اصلها ايققا او نطقا متاماً « المخرج »